

شركة النشر والتوزيع

العلماء العرب

مجلة فكرية ابتداعية

مجلة شهرية تصدر مؤقتا اربع مرات في السنة

السنة الرابعة - العدد الرابع عشر - 1979

المدير المسؤول : محمد بنيس

هيئة التحرير : محمد البكري
مصطفى المسناوي
عيد الله راجع

العنوان :

ص. ب. : 505

المحمدية - المغرب

الموضوعات

دراسات

- 3 بهتان ثقافي لـ « مسخ » سياسي
أحمد أوبلحاج
- 22 الوعي الشقي : اليسار الاوروبي والصهيونية
عبد الكبير الخطيبي
- 32 وضعية الفتاة العاملة بمعامل الزرابي بطنجة
أحمد لمرايط
- 66 أدونيس : ثابت بصيفة متحول
منير العكش
- 98 باشالار والمادية التاريخية
محمد وقيدي
- 113 من أجل فلسفة عربية للممارسة
سليم رضوان
- 119 المضمون الايديولوجي للخطاب الادبي في الابتدائي
اباعقيل المريني

شعر

- 125 يوميات قلعة المنفى
عبد اللطيف اللعبي
- 132 أنت مثقلة بالأجفة
محمد محمد الأشعري

● قصة

من كل حذب وصوب

I35

ادريس الخوري

● من تراثنا الحديث

الادب العربي في المغرب الأقصى

I44

محمد بن العباس القباچ

● مناقشات ، مقابعات ، كتب ، مجلات ، بيانات ...

حول مهرجان الشعر الامازيغي الاول بالناظور

I53

محمد ابزيكا

I60

● مؤتمر الادباء ، شباب الافروآسيويين - الما آتا أبريل 1979

ذمق المقرر الرسمي للفلسفة

I65

علي اكبر ياسين

حول ضرورة الممارسة ، نظرية

I69

محمد رضا الكاشي

I74

● الجمعية المغربية لحقوق الانسان / بيان حول حقوق الانسان

الاشتراكات :

المغرب : الاشتراك العادي 20 درهما

اشتراك المؤسسات 50 درهما

الاقطار العربية واوروبا :

الاشتراك العادي 50 درهما

اشتراك المؤسسات 150 درهما

اشتراك المساندة : ابتداء من 50 درهما

تبعث الاشتراكات باسم

محمد بنيس

الحساب البريدي I.383.4I الرباط

I - المقالات التي تنشر في المجلة تعبر عن رأي كاتبها

2 - المقالات التي لم تنشر لا ترد الى اصحابها .

بهتان ثقافي لـ « مسخ » سياسي

احمد اوبلحاج

أولا : تمهيد : في المنهج :

اهمية كل منهج ومعياري صحته ، سواء على مستوى التفكير أو الفعل ، الفرد أو الجماعة ، هو مقدار ما يعصمنا التمسك به من الوقوع في الاخطاء ، وبالمقابل مقدار ما يضمنه لنا من نجاحات . وهو بهذا المعنى السر الذي يكون وراء كل اخفاق عند فساده أو انتصار عند سداه .

وليست مسألة اختيار احد من المناهج الفكرية قضية ذكاء أو ارادة ، بل هي في نهاية التحليل قضية مصالح تفرق بين الناس ، أفرادا وجماعات ، في مستوى تبني منهج ما في حياتهم أو سلوكهم وتفكيرهم ...

والتفكير العلمي ومنجزاته ، وما يوفره لنا اليوم من منهج واقعي ، مادي وموضوعي ، يكفل للأخمينيين في استيعاب الشروط الاقتصادية لمسيرة فعالة في تغيير محيطهم وكياناتهم في الآن نفسه كما هو عليه الحال واجمل في الحياة .

ومن أهم ما يعلمنا العلم آياه ، صدورا من دروس الحاضر والماضي ، وفي ميدان معاش للناس وحياتهم ، خصوصا وما يتصل بموضوعنا :

أ - أن ننظر الى الواقع كما هو اذا كان هدفنا حقا تغييره ايجابيا ، وأن ننتبه في الدرجة الثانية الى قوانينه العامة والخاصة . ومن أبرز ذلك ما يزرخ به من تناقضات شاملة ومتعددة المستويات هي عامل تحركه وتبدله الدائم ايجابيا أو سلبا ، تقعا أو تخلفا .

ب - تلك التناقضات المتعددة لا تكون في كل لحظة على نفس الهمية والدرجة والنضج ، بل انها في كل مرحلة مرحلة تتوزع موضوعيا بين ما يعتبر فيها رئيسيا باستقطابه للبقية وتهيؤه للحل ، وما يعتبر ثانويا ، بمعنى عدم إمكان حله قبل حل الرئيسي ، وسهولة ذلك بعد حله .

ت - فضلا عن ذلك فهو يعلمنا ان بعض تلك التناقضات الثانوية ، ولسبب طاريء وخارجي غالبا ، قد تصبح رئيسية ، والرئيسي يصبح ثانويا

بصفة مؤقتة ، وحينئذ يجب تغيير التوجه من طرف الذات الفاعلة في التغيير حتى تتلام ومعطيات تبدل الواقع .

ث - وهو ينبغينا الى استحالة حل تناقض ثانوي قبل الرئيسي ، او حل تناقضين في نفس الوقت باية طريقة كانت . ذلك ان التناقضات هي في الواقع الملموس ، وهي من ثم ذات طبيعة موضوعية وليست من اختراع الفزات . ولذا فعلى وسائل حلها ان تستمد من نفس الطبيعة الموضوعية . اننا لا نستطيع تعليم المشي للرضيع مثلا ، او نجتمع في الآن معا بين النوم والعمل ، اما اذا اردنا « اعادة » حل تناقض سبق حله ، كما لو عمنا الى طالب جامعي وادخلناه مسيدا لتعليم الابجدية ، فسنبعث الناس على الهزء منا والتندر .

ان بعض مواطنينا ، سامحهم الله ، يابون سوى الاشاحة بانظارهم عن كل تلك المنجزات الفكرية التي دفعت البشرية من اجل الوصول اليها الكثير من التضحيات والضحايا ، مصرين على رؤية وممارسة ذاتية تنتج افكارا من النوايا بدل الواقع ، والبرامج من الارادات بدل الحاجيات الموضوعية ، مقدمين هكذا ، ومن عندية اموالهم او بايعاز من غيرهم ، التناقضات الثانوية على الرئيسية ، التناقضات في صفوف شعبهم على مستوى اللغة او الثقافة الروحية ، على التناقض الرئيسي الذي يستقطب في حقيقته مجموع طبقات الامة الوطنية من جهة ، والاستعمار الجديد وعملائه المحليين من جهة اخرى . وفاشلا ما يحاولونه ، فوق انه مضر ابلغ الضرر بالقضايا نفسها التي تعتل في الجوهر الدوافع العميقة لاغليبتهم ، اما بعضهم الاخر - وهو قليل ، لكنه قيادي فهو يعرف بطلان مع نظرا لوضوح مصالحه اللوطنية ، ويفهم العلاقة المباشرة التي تربط تلك المصالح الى منعكساتها على مستوى الافكار والخط الميضي لممارساتهم .

في الحديث التالي سنحاول طرح الموضوع للنقاش عامدين الى كسر الطوق المريب والمخيم على الممارسات السرية لهؤلاء . مسلطين بعض الضوء الكاشف على الاقبية المظلمة والتحركات الخفية والمربية التي سقط فيها بعض من مواطنينا ، مهتمين اولا : بدفع « المحايدون » بصمتهم لتحمل مسؤولياتهم في قضية تهتمهم وتساهم في تقرير مصيرهم . وثانيا : بفقد ممارسات بعض الهيئات والمؤسسات الممارسة على الصعيد السياسي او ما يتصل به . وثالثا : بتنوير بعض من اولئك المنغمسين في مستنقع « الجريمة » بنوايا حسنة فعلا ولكنها زائفة ما دامت بدون وعي .

وانني بهذه المبادرة اقدم طريقا اخرى غير أسلوب النعامة او التحايل والمناورة الذي يفضله البعض عوض المواجهة ، وهم بذلك لا يفعلون اكثر من تاجيل ما هو حتمي الوقوع ، والفرق في المواجهة بين اليوم وغدا هو اننا

سيفضيه فرصة إيقاف الجذام عند بداياته وقبل استفرازه كما وقع في فلسطين سابقا وفي لبنان اليوم .

ثانيا : خصائص عامة :

تتسم تلك التيارات اعلاه ، على تعددها وتنوعها ، بيبعض السمات العامة والمشاركة ، يمكن استشفافها على عدة مستويات واصعدة يمكن التركيز من بينها على :

1 - الصعيد الايديولوجي السياسي :

1 - ان من اهم قوانين الصراع الاجتماعي والسياسي في التاريخ البشري والذي يتجلى واضحا في تاريخ وطننا الحديث ، أن التيارات الطفيلية لاجتماعيا وسياسيا ... عادة ما تجد مجال نشاطها الارحب في الوقت الذي تكون فيه قوات الامة الاساسية مستقطبة الاهتمام لقضية مركزية وتتساقض رئيسي تتوزع حوله الآراء وتتصارع الخطوط . فتتمزل تلك التيارات بنفسها عن كل ذلك ساكئة عنه ومنشغلة بتوسيع وتعميق تناقضاتها الثانوية الخاصة في غفلة عن الزمن وعن الناس .

2 - ان مثل هذه التيارات ، كذلك ، عادة ما تخفي نواياها واهدافها السياسية ليس عن الطرح العلني في الساحة العامة وحسب ، بل وحتى عن نفسها كذلك في صيغ ايديولوجية ملتوية ومقلبة ومرنة وبشكل تمنع معه عن الوضوح في طبيعتها وفي مواقفها وفي تحالفاتها ، مفضلة - وبشكل لا واع ولا ارادي كما هو قانون كل ايديولوجيا - طرح نفسها بوجوه اخرى روحية وثقافية - فنية ... عامة جدا وباهتة الملامح في بداياتها طمعا ،

3 - وان عدم الاعلان عن موقف او توجه سياسي سامه في بداياتها ، وصريحة ... لا يعني البتة عدم وجودها بالاطلاق عند امثال هذه الطوائف وبالاخرى عدم امكان وجودها ، بل على العكس تماما : فهناك من جهة آراء ومواقف مشتتة متفرقة ، وبالخصوص حول القضايا الخارجية ، والتي اذا عكستها نحو الداخل فانك لا بد واجد معاني ودلالات . وهناك ، من جهة اخرى ، وفي مواقفهم الخاصة من تلك التناقضات الثانوية التي يركزون مجهودهم على طرحها واستثمارها ما يمكن اعتباره شبيه محيط ومناخ سياسي يقبل العديد من الإستخلاصات والاستنتاجات ، وفوق ذلك وأهم منه ان مواقفهم السياسية العميقة تستمر مضرة مبطنة بشكل لا واع في القاعدة وشبه واع في القمة لا ينتظر سوى سnoch الفرصة في الزمن والمكان ليعلن عن نفسه ممارسة بعد تقوية التنظيم واتساع التأثير في المحيطين الاجتماعي والثقافي وربما كذلك في انتظار الضوء الاخضر يأتي من المراكز الخفية التي تحرك الخيوط .

4 - ان مثل تلك الحركات غالبا ما تأتي اثر لخفاقات سياسية كبرى على مستوى الامة جميعها او على مستوى بعض طبقاتها ، وهي بذلك تظهر كرد

عمل سلبى القسطنطينية في ارضيتها - وكجولب مزيف على اسبابه ودواعيه ،
وكمشروع وجمي لطريق يعيد لـ « النجاح » يعوض طريق الاضاق السابقة .

5 - وحول الموقف من التناقض الرئيسي الذي تعيشه الامة فهي تكتفي
بالصمت عادة مع نوع من الالحاء لكل الاطراف انها معها ، تاركة « الاختيار »
لاتباعها باتخاذ الموقف الملائم لكل شخص ، وهي بذلك تضمن ، من جهة ، تخفيف
وضع المفوض المقيد لها ، ومن جهة اخرى ، استمرار الاتصال شبه العضوي باطراف
الصراع الاساسية ، رابحة بذلك رضاهم ، او على الاقل مسالمتهم ، ان لم يكن
- كما هو حاصل - نشدانهم للتحالف معها ، وضمان تاييدها بدون طائل .

6 - من ظواهر تلك الحركات شدة تعصبها لما تعتنقه من آراء وتحليلات
ومواقف الى درجة الرغبة في الموت من اجلها والمقت الشديد ، ليس لكل ما
و « من » يتناقض معها فحسب ، بل وكذلك لمن يخالفها ولو في بعض من
اهدافها ووسائلها ، مغلفة بكل ذلك وغيره اسماع اتباعها وابصارهم عن
الالتفات صوب اية جهة غيرها ولو على سبيل الاطلاع والتعرف . وهذا يعتبر من
اهم ما يساعد عناصرها على التماسك الداخلي والتوازن الذاتي ما داموا
يتملكون « الحقيقة » منذ الانطلاق ، ويحطلون فكرة مسبقة عن الآخرين ،
لا تقبل ولا تحتاج تعديلا من اي مصدر كان .

ب - على الصعيد التنظيمي :

1 - مثل هذه التيارات التي سرعان ما تصبح حركات شبيهة منظمه
بشكل عفوي وتلقائي تستفيد كثيرا في تطورها من طبيعتها للعامة والمرنة
المنه بها اعلاه ، وهي بذلك تنتشر في النشأ كالجواب بوتيرة متسارعة
مرتبطة في اطلالها بتعمق التناقض الرئيسي على مستوى الامة .
اسما يظهر من اول وهلة ككنص بنيوي في هياكلها واجهزتها غير المنظمة
وهي المستفيدة من المؤسسات الشرعية ، يصفي ميزة ملائمة لنشاطها
شبه السري .

2 - ومثل هذه الحركات عادة ما تأخذ لنفسها طابعا شعبيا ، مستثمرة
ومبترزة بؤس الشعب ، مركزة على اكثر قطاعاته فقرا ، ومحورة اهتماماته
وحاجياته الحيوية ، والتي لا يمكن ان يجد لها حلا فعليا خارج ساحة
الصراع السياسي الطبقي ، الى نفع اصطناعي لهمومه الثانوية وتناقضاته
الهامشية .

3 - وهي كذلك لا تكون متجانسة بطبيعتها ولا مركزية التنظيم والتوجيه
- في الظاهر - على الاقل - وهذا ناتج عن طبيعة تكوينها المتناقضة من حيث
اصولها الاجتماعية . من جهة ، ومن جهة اخرى بسبب تعدد اهدافها السياسية
بتنوع قيادتها وموجهيها . وهذا الوضع - على سلبياته في الظاهر -
يلعب بالنسبة لذيوعها وانتشارها دورا هاما مستفيدا من تحدد المراكز المقررة

والعبادة ومن غموض الاهداف الحقيقية كذلك ... كما يسمح لكل وغموض
بفهم الحركة بحسب ما يحلو له وما تزينه له « أهولوه » ومصالحه الذاتية
المغلوبة والفجة الى حد الانحطاط الى مستوى المساومات النفسية الصغيرة
والذنيئة ...

4 - وعلى مستوى العلاقات شبه « التنظيمية » والتي تمثل لحمة كل
هذه الحركات ، فهي الى جانب فيثافيزيقا الاهداف على مستوى الفكر ،
تكتفي او تركز على أسلوب العلاقات الذاتية الخاصة ، متغذية من موروث
المؤسسات التقليدية التي يقع احياء الميت منها : عائلية ، عشائرية ،
قبلية ، او للمؤسسات الحرفية ، و احيانا فهي تستغل مؤسسات « عصرية »
أسست منذ الاول لاهداف غير شعبية ، مثل بعض أنواع العلاقات الادارية
ضمن الدولة .

وهكذا فالطبيعة الرجعية للأهداف تستدعي بالضرورة رجعية في الوسائل ،
وبذلك تصطنع عمليا شبه عصاية تتبادل فيما بينها أنواع المصالح والمنافع
التي يحتاج فيها البعض الى البعض ، وفي هذا الاطار نجد الكثير من حالات
الانسياق مع التيار والانغمار فيه نابعا بالاساس بالنسبة لبعضهم من تحقيق
مصلحة طارئة او تكريس منفعة قديمة .

5 - ان هذه التيارات غالبا ما يحضر لها ويهيأ ، ويكون مصدر تمويل
اولي مراكز خارجية اجنبية عن الوطن ، تصطنعها كنقط تشويش وبليلة على
الصراع الوطني - الاجتماعي ، وطوابير احتياطية لما قد يجد من أحداث تحتاج
الى أنواع عدة من التدخل ، اتملها ~~كما يكون من المصادر من الداخل~~ . ان
هذا الوضع لا يعني تماما ان ~~تتأسس الدعوات اياها~~ ، ~~ومضى للتبليغ فيها~~
احيانا ، يكون على علم بالخيوط الخفية المحركة ، فكيف ~~منها~~ اهم
لفعاليتها الناتجة بالذات عن قناعة وهمية لـ « الاطر » بالباعث الذاتي الداخلي
لتحركهم . وهي القناعة التي تبررها لهم بالفعل ، وفي ظاهر الاحوال ، مختلف
انشطتهم وقضايا تحركهم والعناصر المتعاملة معهم .

ثالثا : الخلفيات - الاسباب :

وراء الظاهرة الموصوفة اسباب ، وهي ليست دائما ولا اساسا من
طبيعة ذاتية وشخصية ، بل على العكس : فجزورها تكمن في الموضوع نفسه ،
ساحة الصراع الوطني : الاجتماعي والسياسي والثقافي ... ولان وسائل الحل
والمواجهة تأتي عادة بعد التعرف على الاسباب ، فاننا سنحاول البحث عن
بعض ذلك من خلال مراجعة نقدية لـ « الواقع » في امتداده وفي عمقه .

I - ليس يكفي لحل تناقض رئيسي مجتمعي : سياسي او ثقافي ،
في امة ما وفي مرحلة ما ، ان يكون مستقطبا لمجهود الجماعات وصراع الطبقات .
ان هذا عادة ما يحدث وبشكل تلقائي وعفوي من مختلف الاطراف ، اذ ان

موضوعية للتناقضات وحدها تستطيع أن تتكفل بذلك ما دام الصراع الاجتماعي ليس ممارسة اختيارية أو اعتباطية من صنع الذوات... المشكلة لا يمكن أن في هذا الجانب، بل أساسا في طبيعة الطرح وأوجه التناقض التي يقع الدخول منها إليه وكذا - وهذا مهم - الوسائل التي تستعمل لحلها. فإذا وقعت عيوب وإخطاء في هذا الصدد لسبب أو لآخر، فإنه عادة ما تنعكس، ليس فقط على مستوى ممارسات الصراع ونتائجه التي تطبع بكثرة الاخفاقات والحيرة والتفئذ، بل وكذلك - ومع التحول النوعي للأخطاء بتردها من المستوى التقني إلى التاكتيكي إلى الاستراتيجي ثم إلى المبدئي - فهي تسمح، بل وتشجع، على بروز التناقضات الثانوية وطغيانها في مرحلة ما على الرئيسي نفسه، حيث ينتشر الظن بأن أخطاء الجماعة في الصراع غير آتية من مفاهيمها له ووسائلها المستعملة في حلها... بل، أما من عدم صلاحية ذلك التناقض للطرح أو لثانويته أو / ولعدم قابليته للحل. وفي ترجيحي الشخصي أن ذلك الباعث أعلاه يمكن كسبب رئيسي خلف أكثر هذه التحركات الهامشية اليوم في بلادنا، التي أخاف العودة « عزيزة » عند الجمع بنفس المعنى غدا.

2 - والدولة من جهتها، بخلفيتها الطبقية المتحالفة وارتباطاتها الخارجية، وبأجهزتها... لها ضلع كبير في المسؤولية، ليس بالمعنى التاريخي العام، فذلك شيء مفهوم، ما دامت كل مشاكلنا تابعة أساسا من طبيعة سياستها وممارساتها، وإنما نقصد المسؤولية المباشرة والمعينة. وظواهر ذلك متعددة سنقتصر منها على الأهم:

أ - فعلى مستوى السياسة الاقتصادية والاجتماعية يمكن إجمالها، وبعد 23 سنة من انبعاثها في « الجهاد الأصفر » في ما يلي:

تفاوت صارخ في الفروقات الاجتماعية الطبقية تظهر على مستوى الككل في واقع وجود تناسب $32/I$ بين أدنى وأعلى الدخول. إن هذا الوضع، والذي من أهم أسبابه ظاهرة المعمرين المغاربة، وسياسة مغربة الاستعمار، وعتو بورجوازية الدولة في استغلال نفوذها الإداري والاقتصادي... الخ، قد أدى إلى نمو متسارع للطبقات الدنيا المدقعة على مستوى الكم في البادية ومدن الصفيح (الهجرة الناتجة عن سرقة الأرض من الفلاحين)، وكذا إلى تعمق ماساتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهذه الأوساط تعتبر اليوم من أهم مزارع انتشار تلك التيارات الهامشية، إذ أن واقعها المادي يساعد في تبنيها لتلك الأفكار.

ب - تكريس أوضاع التفاوت الجغرافي - الإقليمي في بلادنا، وهو الإرث الاستعماري الثقيل جدا، والذي قسم المغرب إلى مغربين، نافع وغير نافع، تعمق اليوم بشكل بشع، وأصبحنا كما لو أننا في أوطان ومغرب وليس في وطن مغربي واحد على جميع الأصعدة ليس أبسطها أن يجدد البعض ماء مسبحه

شمل الموظفين في النصف الأول من السبعينات . ان ارغام تلك الاصوات من المؤمنين بانفسهم قيم الشعب على الصمت بين جدران الزنازن او الاكتفاء بسمع صداها الآتي من بعيد ... هو الذي سمح للاصوات الكافرة بقيم العقل والحرية والتسامح او بقيم الوطنية والعروبة ... بان تجتر نخاعها دون ان تجد - الا قليلا - من يعيدها الى الصواب ويصحح من المخالفاتها ويحد من غلواتها .

ث - ان من أهم المرتكزات الايديولوجية لبنية الدولة المغربية في حديثها ، الواسعي ، عن نفسها ، كونها دولة ليبرالية ترتكز الى مباديء : الحرية .. فصل السلط .. الخ ، ومن دلائل ذلك في منطوقها عن نفسها انها من القلة القليلة في العالم الثالث والبلاد العربية خصوصا التي ليست لديها وزارة لـ « الارشاد القومي » تتكفل بنشر ايديولوجية معينة ولا مادة بنفس المعنى من مقررات وبرامج التعليم والاذاعة ... الخ ، ولو تحققت تلك الادعاءات بالفعل لكان ذلك من فضائلها حقا . لولا انه مغالطة ليس غير ، فدولتنا ، كغيرها ، ليست محايدة ايديولوجيا على الاطلاق ، ومن أهم مصادر فكرها : الدين ، المقروء قراءة خاصة والمقدم وفقها للجماهير . ذلك ان الادعاء بان الدين الاسلامي هو دين الجميع في الامة لا يقوم مبررا لفرض الفهم الخاص بالدولة وطبقاتها على بقية الطبقات في الامة ، ان النص الديني ، كأي نص آخر ، لا يقرأ نفس القراءة مع اختلاف القارئين ، ولا مع اختلاف الزمان والمكان لنفس القارئين ، انه يخضع اذن لنوع من التاويل مصدره طبيعة المصالح الخاصة بكل مؤول ، وهي التي توجه القراءة والفهم ، وهذه الحقيقة ليست حجة على من يفسر فقط بالنسبة للتاريخ العربي - الاسلامي منذ صراع الامام علي مع السلطان معاوية حتى الخميني مع الشاه ... بل هي شاهدة لكل تاريخ الحضارة البشرية ...

الدولة العصرية ، والليبرالية حقا ، ابتعدت أكثر فاكثر ، ومنذ الثورات البورجوازية في امريكا وانجلترا ، وقمتها في فرنسا (1789) ، عن أي تدخل في الشؤون الدينية بالتاويل او بغيره - اما دولتنا - ويجب قول هذا اليوم - فقد كانت هي اول مبادر لاستغلال الدين في اهداف سياسية (في العمق طبقية) : فماذا تركت لغيرها ان يفعل ؟ فبسلوكها (غير الليبرالي مطلقا) شرعت للأخريين سبل ممارستهم التي يستعود عليها بالسلب أكثر من غيرها ، ان لم يكن قبل غيرها . والمثال الايراني ما زال ماثلا امامنا يشهد (رغم تناقضات الثورة التي سمحت بعبور ايجابيات مهمة) .

ان استخدام الدولة للدين المؤول يتجاوز المؤسسات الدينية الرسمية (المساجد ...) الى وسائل الاعلام الجماهيرية الى التعليم نفسه في الكثير من مواده وأهمها « التربية الاسلامية » التي تأخذ حصة الاسد في الابتدائي ،

واتسعت الآن لتشمل مؤسسات التعليم العالي فضلا عن الثانوي طبعا .
 ج - وأخيرا ، وليس آخرها بحال ، فاننا لا نستطيع أن نفتناسي الدور
 السلبي ، القاتل والمدمر ، الذي تلعبه أنواع ومؤسسات الثقافة السائدة
 بشقيها : الرجعي القديم ، والجديد (الامبريالي) . ان وطننا ، وبعد 23 سنة
 من الخروج السياسي الرسمي للاستعمار ، ما زال في حالة استعمار ثقافي -
 لغوي بشع . وربما يكون أقسى علينا من السابق ، ما دام يفرض نفسه بوسائل
 محلية وعناصر وطنية ، (المرجع هنا هو أوراق الحالة المدنية) ان
 الأتسية العربية عموما والمغربية خصوصا ما زالت تصارع عن نفسها لتجد
 مكانا في وطنها أمام اكتساح قيم ثقافة الحضريات الاثرية او ثقافة الغرب
 الرأسمالية في مرحلتها الامبريالية العفنة بلا انسانيتها وماديتها الفجة .
 وبالنسبة للمسألة اللغوية ، فكلنا يعرف ان لغة الشعب العربية ، ومن
 ثم مشاعره ومطامحه ليست جريحة وحسب ، بل وانها لتتعرض يوميا للذبح
 في التعليم والمعاملات العامة المختلفة (ادارية ، اقتصادية ...)
 في مثل هذه الظروف يحتاج المرء الى الكثير من الغباء وعماء البصيرة
 اذا لم يلاحظ :

I - ان العربية كلفة قومية ما تزال مقموعة بضراوة وليس الامازيغية
 فقط كلفة محلية .

2 - ان الاغلبية الساحقة من المتحدثين اليوم - كما بالامس الاستعماري
 القريب - عن مشكلة الامازيغية (او الشلحة) - متخرجون من المركز الاستعماري
 القديم - الجديد في فرنسا .

3 - وان التوجيه الاساسي لثقافة اللغويات والعلوم الانسانية ...
 هنالك يسير في اطار التركيز على المشاكل اللغوية ، في العالم الثالث . حتى
 لتكاد كثير من مدارس اللسانيات الحديثة تصبح بالفعل - عموما - لسانية
 اليوم ، اذا كانت الانثروبولوجيا بالامس قد استخدمت لتبرير الاستعمار
 القديم .

ومن الزاوية الاخرى ، فان التركيز المتطرف على استيراد واقتناء آخر
 تقاليع القيم والسلوكيات والجماليات (الازياء ، المعمار ، مثلا) الاوروبية ،
 يجبر من جهته الى تطرف مقابل يتشبث (بفهمه الخاص والمؤول) باعرق ما
 تزخر به الامة من تراث واثريات الماضي ، قانزا بخطوة واحدة على عوامل
 الزمن وكل مراحل التاريخ وكاننا نعيش وما نزال في القرن الاول للهجرة .
 فيفقد معناه كل شيء في الماضي والحاضر جميعا ، وتختلط الاوراق ببعضها
 (الدين والسياسة ... مثلا) ، ولا يعود هناك مقياس او دلالة لاي شيء ،
 وحتى ما كان نبراسا مضيئا في تاريخنا الفكري والسياسي يمسى رمادا هامدا
 عند هؤلاء . وتلك هي النتيجة الحتمية لكل فلسفة تقوم اساسا على ردود الفعل
 فقط : تطرف في الموضوع ، وانتحار في الذات .

لا يعتبر كل رجوع الى الماضي السحيق أو المتوسط ... سياسيا او فكريا - ثنائيا وروحيا ، وكرد فعل امام واقع سالب لاهم مقومات الشعب والوطن وهي شخصيته ... ممارسة رجعية في كل حال ، ان الامم المقهورة (ومنها المغرب في مرحلة الاستعمار القديم) عادة ما تعتمد الى تحصيل نفسها (مؤقتا) في التقليد ، ذروا لخطر اجتثاث شخصيتها القومية المستهدفة من طرف الثقافة الاستعمارية المعتدية . غير ان هذا المسلك يتسم لديها عادة بالمرحلية من جهة ، وبالتركيز على اهم قيم آباؤها في الصمود والاعتزاز القومي واسترخاص التصحية من أجل الوطن ... من جهة ، وكذلك الانتباه الى تناقضات العدو والبحث فيها عن وسائل للنضال ضده ، والبحث اكثر من ذلك عن الاسباب التي سمحت باستقوائه ومقابلها الذي كرس ضعف الامة من جهة أخرى ... الخ ، الخ ، الخ ،

مجملة هذه الخصائص ، وغيرها ، لا نجد منها شيئا عند اخواننا .

3 . 1 - للبورجوازية المنعوتة عادة بـ « الوطنية » ، بفنتيها الوسطى والصغيرة ، اختارت في المرحلة الحالية ، وامام الظاهرة ، الركون الى الصمت ، بمنطق (كم من حاجة قضيناها بتركها) متجاهلة بذلك ، وعن عمد ، واقعا ماثلا يزداد استفحاله وخطوره ، الا من بعض التفاتات خفيفة وغير مباشرة بين الحين والآخر . فما هي بواعث هذا التصرف :

أ - ان بورجوازيتنا ، وبالأخص منها المتوسطة وفوق المتوسطة ، قد ساهمت بقسط وفير في تكريس الكثير من امضاج القهر والشذوذ النسبي تتغذى منها اليوم تلك التيارات ، سواء على مستوى التفاوت الطبقي الصارخ او الاستعماري او غير ذلك .

ب - ان ارتباطات كثير من فصائلها بالمراكز الاجنبية التي يعود لها الفضل في تنشئتها ، يضمنها في مواقع لا وطنية ومسلقيات لا شعبية ، بل واستعمارية . فكيف سيتأتى لها مواجهة منطلق (لا وطني) بمنطق من نفس النوع دون أن تحس هي ، ويحسن معها الناس ، بالتناقض .

ت - وان الطبيعة اللامدنية - الانتهازية لخطها الفكري ، القابل للتعامل مع الكل بالمقياس فقط الى ما تقتضيه مصالحها الضيقة والانانية في كل لحظة لحظة ... تمنعها من امكانية المواجهة لمثل هاتيك التيارات ، وتدفعها ، بالعكس ، الى الرغبة في احتوائها بتشذيب زوائدما وتقليم اضافتها او بالاقبل توجيه عدوانيتها نحو خصم آخر ومحاولة الاستفادة من « جماهيريتها » في اللعبة الديمقراطية .

هذا التنافس الخفي (الآن) بين فصائل البورجوازية على اكتساب ود ومصالحة تلك التيارات او على الاقل تلافي مجموعاتها ... يزيد من جهته ، ومرة أخرى ، في تقويتها أكثر واكتسابها شرعية (الامر الواقع) .

ج - ومن جانبها ، فان البورجوازية لم تتورع ، وفي كل تاريخها الحديث

والمعاصرة، عن استثمار الدين سياسيا هي الأخرى، وبذلك أعطت أكبر الدليل
وأقواه على مدى عجزها عن تكويين وتدعيم فكرها الخاص والمستقل عن
مناهج وأساليب الفكر الإقطاعي . وحتى في ميدان الصراع على مستوى الفكر
الديني لم تكن صانقة كصدق أمها الأوروبية على عهد لوثر مثلا ، فتتجاوز
مستوى الابتزاز السياسي الأنبي للمقولات والمفاهيم والمسلكيات الدينية
الموروثة ، إلى مستوى تطوير العقيدة والتشريع وتقديم تصور ورؤية جديدة
للمبادئ والأخلاق الدينية ، إلا في حدود ضيقة جدا ، وعلى اثر مبادرات للدولة
نفسها غالبا، والتي فرضت عليها الظروف أحيانا أن تكون متقدمة في هذا السبيل
على اللبرجوازية ، في المعارضة نفسها .

3 . 2 ومع ملاحظتنا للبنية الخاصة باقتصاديات البلدان التابعة ، نجد
خصائص التنفك وعدم التوازن في النمو وخلل للتكامل الداخلي ... الشيء الذي
يفتح عنه ارتباطات خارجية لمختلف القطاعات وبشكل متفاوت في القوة
والضعف ، حتى ليمسي الارتباط بين بعض تلك القطاعات أو الأقاليم (أو
الأحياء أحيانا) مع المراكز الاستعمارية ، أقوى من ارتباطها بمحيطها الداخلي
الخاص نفسه (من الصعب مثلا ان نجد أي نوع من العلاقة بين حي الوازيس
بالدار البيضاء وكريان باشكو باستثناء استيراد الخدمات) .

يتخلف لدينا ، من ضمن ما يتخلف عن كل ذلك ، تكويين بورجوازيات
رأسمالية ذات طابع إقليمي تتنافس فيما بينها على هذا المستوى ، وكل منها
يحاول استثمار ما يمكن أن تقدمه له مسبقته ومجاله الإقليمي ضدا على الآخر .
وبذلك تفقد آخر ما يمكنها التمسك به من العنصر الوطني ، وتصبح شعرا للشيطان
النعرات العنصرية الإقليمية ... محاولة بذلك - ضحيتها السهولة بنفسها وبين
غضبة الشعب عليها ، حيث تقدم له نموذجا لصراع مزيف بين أقاليم وجهات ،
وليس بين طبقات ، صراعا عموديا لا أفقيا كما هي حقيقته .

تحققت فعالية هذا المنحى ، خصوصا ، لدى بورجوازيات الأقاليم (غير
النافعة) حين تتقدم لمن تستغلهم بصورة التاجر المظلوم والمغلوب على أمره
(وهذا حق ولكنه ناقص) والمحتاج إلى ما يدعمه من (أخوانه) في الأقليم ،
مستهدفا تعويضهم عن المشاعر الوطنية والطبقية مشاعر ومطامح وأفكارا
عنصرية - إقليمية مقيتة .

بالمقابل ، يرد الآخرون على النغمة بما يوازيها أو أكثر ، بهروب إلى
الامام متمثل في عنصرية أمقت ، أو بتجاهل ونفي تام للمشكلة أو بتحويل
للمؤسسات والتيارات التي تدعو إلى احتقار الدنيا والمادة (المال) ، مقدمة
للضحية بوصفه جلادا (عمر بن جلون) ، مخفية بعورتها الخلفية الجلاد
الحقيقي للجميع ، بمن فيهم هم أنفسهم : الاستعمار وحلفاؤه .

إن ما لم يقل ، ولكنه مبطن وضمني في كل مصادر تفكير وسلوك مجموع

أولئك ، هو أن لا تغيير ولا صراع ولا تصور لا تق خارج قوانين وحتميات
(الوضع الراهن) ، وتلك نقطة التمثيل ، إذ ما الداعي الى هذه (القناعة)
الباطلة ، ان لم يكن وحدة مصالحهم جميعا رغم تناقضاتهم في الظاهر .

3 . 3 - وقبل الانتهاء من الحديث عن موقف هذه الطبقة وعن دورها ،
لا يجوز أن نغفل بعض متفنيها حقهم من المسؤولية ، ذلك أن التوسع والنمو
للمتسارع أحيانا لهذه الفئة نتيجة التطعيم خصوصا ، والمحايت للتوسعات
الاقتصادية الطرئة (كما في 75 مع الفوسفاط - دولار) - يخلق مشاكل
بدخلها ، إذ أنه يرغم ما تفتحه تلك التوسعات لهذه الفئة - أكثر من غيرها
من فئات الشعب - من حرص الارتقاء و تحسين الوضعية ، فان المجال
يبقى ضيقا عن استيعاب رغبات الجميع وبنفس المقدار ، فيستفيد البعض
أكثر عند « اقسام الغنيمة » ، فيما يتضرر للبعض الآخر ، وهو حينئذ لن
يصمت عن (الغبن) ، فيثير الضجيج والبلبله على (صيرى) وقسمته (غير
العائلة) . وحين لا يجد مجالا لهذه الاثارة ضمن المؤسسات « الديمقراطية »
القائمة (أحزاب ، نقابات ، جمعيات ...) فإنه لا بد يؤسس لنفسه منتدى
للتجمع أولا ثم للبحث عن صيغة ابيولوجية موافقة للحم الليتيت ولأم
للمتناقضات . وعن كل ذلك تتخلق أمثال تلك التيارات اعلاه ، التي أم تتمكن
« أطرها » من أخذ ادارات ولا تفرغات متنوعة . ولا حتى عضوية مجلس
بلدي ... ولا حتى ، على الأقل ، من العمل في صحيفة تسمى ميثاقا أو مغربا
أو ، أو ، أو ... الخ .

4 - سيجد هذا السيف العنبر ، ربما ، ممن سيتهمون به بالتحامل على
جهات ، بالولاء (المقدس) لجهة معينة ، اذا هو لم يتطرق بالنقد لفصيل جديد
من فصائل الوطنية المغربية ، ألا وهو المنعوت عادة باسم : اليسار . واذا
كان كل نقد يعتبر باطلا اذا لم يكن شاملا وجذريا ، فانني رغم مراعاتي
للظروف الخاصة بهؤلاء الاخوان ، والتي في أقل فئاتها السلبية لا تساعدهم
على الجهر وحتى الهمس أحيانا بمواقفهم .. وكذا لتسببتهم المشروع بحق
الامتناع عن الدخول في نقاش مع غير المسؤولين في أقوالهم - وأنا منهم - ،
سأضع حول ممارستهم ، وبالخصوص منها الجانب النظري ، بعض ملاحظات
تتصل خصوصا بقضيتنا المطروحة ، دون أن يعني ذلك عند أي كان موقفا
تجريحا منهم وأخرى أن يكون مناوئا .

ان أهمية نقد هذا الفصيل ، بمختلف تياراته ، تأتي من ضخامة
المسؤوليات التاريخية التي يضعها هو نفسه على اكتافه ، ومن ثم لكون
اخطائه في هذا السبيل لا تنعكس عليه وحده في مستوى التضحيات بالحرية
الشخصية أو الغربية عن الوطن ... بل وأساسا من ردود الفعل السلبية لدى
تطامعات عريضة ، خصوصا من الشبيبة المتعلمة التي أحييت فيها أوائل

للصعوبات أملا عريضة ومطامح في مستقبل سرعان ما خبا وميضه أجسام
أبصارهم التي استحالت عشواء عند اليمض لكثرة ما تعرضت له من رعد
حملته معها رياح الوقائع المسافلة .

أ - بالرغم من أن عناصر هذه الحركة لم تبرز في الميدان الوطني بالجديد
على الصعيد السياسي أساسا ، بل على صعيد تقديم فكر ورؤية حياتية
وحضارية جديدة تعتمد الفكر العلمي والثقفة في الإنسان كمصدر وحيد لكل
القيم ... فانهم لم يبذلوا مجهودا في هذا المجال يوازي (نواياهم) وأعمالهم
السياسية . لقد طرحوا إلى الساحة العديد من الشعارات والمواقف والممارسات
السياسية ، تماما كما لو أن المحيط الثقافي - الفكري كان مهيبا لهم وتطبيق
تلك البرامج ، بصيغة أخرى فقد زرعوا قبل أن يحترقوا ، أما الماء فقد أنتظروا
- ربما - سقوطه من السماء على بنورهم . قدموا العمل السياسي على الثقافي ،
فوقعت ، من ثم ، اخفاقات ، بل ارتدادات ، من ظواهرها في الضفة الأخرى
ما نتحدث عنه باعتباره الانعكاس ورد الفعل السلبي على ممارسات خاطئة
لدى الطليعة .

ب - ثم انه على مستوى محيط الفعل لم يتجاوزوا غالبا حقل الشيبية ،
والمثقفة منها بصورة خاصة ، فوق نمو غير متكافي بين هذا القطاع والقطاعات
الواسعة من جماهير البوادي وأحياء الصفيح والأحياء التقليدية في المدن . ممن
يهمهم أمر الدعوة أكثر من غيرهم ، ويفهمون (الحديث) على حقيقته وبمقياس
الواقع لا باعتباره ممارسة كلامية أو حتى حلمية ، كما عند المثقفين الذين عادة
ما يقرؤون الواقع من خلال الكتب والنظريات والآليات النظرية من خلال الواقع .

إنها حقا لمفارقة طيبة ، لا يعنيها الآن البحث عن أصلها بل بقدر ما يعنيها
تسجيله أولا ، فرغم أن الحركة في الأصل هي حركة مثقفين متطلعين وطموحين
طموحا شرعيا ، إلا أنهم لم يستطيعوا في ميدانهم (الطبيعي) وهو الثقافة ،
أن ينجزوا قدر ما حاولوه في الميدان الذي لم يحلوا أشكاله الرئيسي المتمثل
في الارتباط بالجماهير عضويا ، وبذلك أجلوا فقط أداء دين ثقيل ما زال عليهم
أن يعملوا على المساهمة في حله ، إذ لا أحد غير من يسير على طريقهم يستطيع
ذلك ، ومن أقبسط ذلك الدين ما يطرحة موضوعنا من قضايا .

ت - وعلى فعل مستوى الفعل السياسي نفسه ، لا يسعنا المرور عليه
دون إشارة ولو سريعة إلى ما وقع فيه بعضهم من أخطاء « يسارية » ، قبيحة
ركب عليها الكثيرون اليوم تبرير عفشهم وتزيين سقط متاعهم . وكما كانوا
شجعانا اقتحاما في عروبتهم حين أدوا عنها الثمن باهضا وبدون تضرع ولا
استسلام ، فسيكون عليهم بنفس الروح المخاضة لتقصية آمتهم أن يتجاوزوها
اليوم بنقد ذاتي شامل ، يعتبرون هم قبل غيرهم الماهلون تاريخيا لانجازهم .
ث - واعتقد ، وقبل ختام هذه الفقرة ، أن من أهم أسباب الاخفاق المؤقت

وأخطاء الماضي والحاضر عند هؤلاء ، ضعفه ما بيولفته من اهتمام للتناقضات الثابوتية على المستوى الثقافي - الروحي ، وبالانحصار للمسألة الدينية ، أن لم نقل انعدام الاهتمام حطافا ، بل والجهل أحيانا بأبسط قواعد وتقاليد ومؤسسات الدين ، مكتفين في أحسن الاحوال بالقراءة عنه من النصوص بحد الوثائق المعاش ، وما دام الأمر كذلك فسيستمر إيتعلمهم عن شعبهم ويتعمق سوء التفاهم وزدواج اللغة . وفي مثل هذه الاحوال ، كيف يا ترى سيسقطيع (عقل) أن يقبل إمكانية تغيير واقع لا تعرف مكوناته وأطراف تناقضاته ... ؟ ! من المؤكد على أي حال أن السلطة ليست كذلك ، بل هي على العكس من ذلك .

ان هذا المقرر الذي يصل حد اللادفاع في الاهتمام ومن ثم اغناء ثقافة شعبيته الروحية ، هو بالذات ، وكسبب من الاسباب الذاتية في صفوف الأمة وطلائعها الشبابية خاصة ، الذي سمح لآخرين بأن « يملأوا » هذا الفراغ بكل ما رآته أنصارهم المريضة أو وقعت عليه أيديهم المخاطبة أو ما قدم اليهم

خردوات الماضي المتخلفة والمقزمة زورا على أنها الدين الاصيل . تلك الخردوات التي لم تزد منظر الفراغ سوى تشوها ، وقبحا منفرا .

وأبعا : وبعد : بمثابة خاتمة .

إذا كان يجوز لمثل هذا الحديث أن تكون له ، حو لا آخر ، خلقته يسي الورق قبل أن يختم موضوعه على الواقع المعيني ، فإن يكون ذلك مسوي بالرجوع إلى مدرسة التاريخ المنسقي عنه للدوس والمظلت .

فليست مثل هذه الظواهر المرضية في كونه من الشعوب بالحيوية ، لا باعتبار نفس المكانة المعطى ، ولا باعتبار غيره من الاطلاق في الحاضر ، حيث المثال اللبناني مائل للعيان أمامنا لا بكل مساواة حاسية - وجداول وماء ضحايا من المسجونين فقط ، بل وبمواظفة ودروهمه أيضا .

وبالنسبة للماضي المغربي فجميعنا على علم ، بدرجة أو باخرى ، بأساليب المستعمر الفرنسي منذ دخوله بلادنا ، وبالذات منذ المشريفات ، من محاولته جر الشعب المغربي إلى الانتفاخ بتناقضات ثانوية ، دينية ولغوية - اقليلية بعيدا عما كانت الجماهير تخوضه ضده من صراع عنيف في المدن والبادي خاصة . ان الملامح الميلودرامية لاحداث المعطي القوي ، حين كان بعض قواد الاستعمار وأمثال عبد الحفي الكفاني من المشعوفين هم الميثاون الرئيسيون في المسرحية ، نجدها مع بعض (التجديد) في الاخراج تؤدي مرة أخرى مع تقارب قوي في الظروف السياسية بين اليوم والامس .

اذ أن من يدعي اختلاف المصطيات بين المرحلتين السابقة والمعاصرة اعتمادا على كونها اليوم حولة مستقلة ، لا يستحق سوى رجم بالهجر على فساده منطلته وذاتية رؤيته ، ولا فما معنى الاستعمار الجديد الذي ما تزال خاصمين لقولانيته ، بل وبها حقنى مشكلة الصحراء التي يبدل الشعب المغربي من

فما نة ثمنها أمام أطماع الأجنبي الغاشم .

ومالنا نذهب بعيدا ، وفي تاريخنا بعد مرحلة الاستقلال السياسي نفسه ، ما يماثل بعض المماثلة وقائع اليوم ، فهل يجوز أن ننسى عدي وببهي ، بل وأحداث الريف نفسها بكل ما يكتنفها من غموض ناتج عن الاستعمار اليميني لفلان شعبي افتقد ظليعته .

إذا كانت هناك من قروق حقا بين الامس واليوم في هذا الصدد ، فهي تكمن بالذات في مستوى المواجهة الشعبية وكيفيةها بين المرحلتين ، حينئذ كانت فصائل البورجوازية الوطنية في مرحلة نشوئها ونهضتها ، وكانت مصالحتها ما تزال على طرف نقيض مع مصالح الاستعمار ، فاتخذت ، عموما ، مواقف على جميع الأصعدة الفكرية والسياسية ... ذات بعد وطني ومضمون شعبي الى حد كبير ، فاستطاعت بذلك أن تهزم مخططات المستعمر وأن تحقق مع الشعب انتصارات باهرة ما زلنا اليوم نستمري، طعم مذاقها اللذيذ ، في حين تكتفي البورجوازية اليوم بابتزازها في مجال الدعاية لخط يناقض ماضيها الوطني .

وان تراث ذلك الماضي المجيد هو الذي وقف معنا على عهد السنوات الأولى للاستقلال السياسي في مناهضة نعرات مماثلة حاولت أن تستغل ظروف قهر موضوعية لجماهير البوادي خاصة ، ولكن ليس من أجل أهداف ، ولا من منطلقات وطنية حقة ، بل عمليا لتفتيت الكيان الوطني وهو في حالة عنفوانه بالذات .

أما بعد سنة 1960 فقد تكفلت للقيادات الوطنية التقدمية ، عن جدارة ، بالاستمرار على نفس الدرب النضالي الوحدوي والشعبي ، مستقطبة ، خصوصا ببعض قادتها الإجماع من أمثال الشهيد المهدي بن بركة وزمائه ... طموحات الجماهير وإرادتها التحريرية في إطار التركيز على التناقض الرئيسي الاقتصادي - الاجتماعي والسياسي ... وهي قد نجحت ، على الأقل ، في الانفلات بهذا الشعب النبيل من أخطار الانحجار في مستنقع الصراعات الهامشية والتناقضات الثانوية في صفوفه ، رغم كل أخطائها أدت عنها الثمن من ذاتها في جميع الأحوال ، من الغربية عن الوطن والأهل الى التصحية بالحياة بالنسبة لمن ارتحل عند ربه شهيدا مرضيا

ومرة أخرى ، فما نحن اليوم نرى الظاهرة - المسخ تبرز من جديد . وإذا كانت بالأمس تشكل تعبيرا شائها ورجعيا عن واقع موضوعي تعيشه اللغة الأمازيغية من جهة ، والثقافة الروحية للشعب من جهة أخرى ، فهي اليوم بالإضافة الى ذلك ، تعتبر تعبيرا ، كذلك ، عن مرحلة تفسخ وانحلال عام يشمل كل المؤسسات القديمة ، ويتظاهر في عدة مظاهر داخل للعولة وخارجها في المجتمع الذي ساهمت في إعادة إنتاج كل انحرافاته

وتشروعاته ، محضونة في ذلك وموجهة من طرف الاجنبي .
هذه الحقيقة تجسد في نظري قانونا تاريخيا يقضي بزوال القديم
بالتفسخ الذاتي اذا هو لم يجد جديدا يعوضه كبديل عنه . ان حتمية قانون
الحركة والتقدم لكل شي ، تفرض دائما صراعا بين قوتين : قديمة وجديدة ،
فاذا لم تستطع الجديدة ، والتي تمثل الطرف الرئيسي في حدة المتناقضين ،
ومن ثم العامل الذاتي المحرك للموضوع (التاريخ) ، ولسبب من الاسباب
الداخلية او الخارجية ، ان تنجح في كتمس مؤسسات الماضي العتيقة ،
وخاصة التي اعتمدت رجعية منها ، او تغيير وظائفها او تعديل عناصرها
المكونة ... الخ ، الخ ، فان ذلك لا يسوق بحال قوانين الموضوع
من الاستمرار في العمل عن طريق ما يمكن نعتة بقانون « الانتحار الذاتي » ،
للقوى الرجعية (مؤسسات ، افكار ...) في انتظار دفعة ذاتية خارجية جديدة
في محتواها ، لكي يزول على اثرها نهائيا التناقض القديم .
ان هذا هو في اعتقادي ما يجري اليوم على عدة مستويات في بلادنا
وخارجها ، وهو ثنائي فرق للظاهرة بين امسها وحاضرها .

ان المغرب ، وفي عصر الثورات الوطنية - الديمقراطية والشعبية والاتفاق
الاشتراكية ، ما زال يتغذى كنظام اجتماعي ، وبفعل واقع التبعية الاقتصادية
الاستعمار الجديد من الهياكل الموروثة للمؤسسات العشائرية والقبلية بل
والعائلية والمراتب الدينية ، في تعايش زائف مع أحدث المؤسسات الاقتصادية
والتنظيمات الاجتماعية العصرية ، في تناقض متوتر ووقدادي غالبا ، يجعل كل
خطوة تقدم تعيقها خطوات الخساسة ، مثل حركة الموج اثناء الجزر .

اذا كانت قوانين التاريخ موضوعية وشاملة ، فان كل بلد يستطيع ان
يرى صورة مستقبله ومصيره عند البلاد الذي سبقه في السير على نفس الطريق .
(هكذا قال مفكر بحق) ، وليس اماننا نحن اليوم اقرب الى مثالنا في لبنان ،
فهل يا ترى ستستمر ايدينا مغولة حتى المطب ؟ من الاكيد ان سقوطنا سيكون
حينئذ اعنف واشنع من المثال اللبناني نفسه .

علينا ان نعرف انه سواء لدواعي موضوعية موجودة في صلب اغلب
انظمة البلاد النامية اقتصاديا واجتماعيا ، او لدواعي ذاتية كامنة في مخططات
الامبريالية ... نعيش في هذه المرحلة من تاريخ البشرية تناقضا رئيسيا بين
ارادة شعوب العالم الثالث في الاستقلال والوحدة الوطنية والتقدم الاجتماعي ...
وارادة الاستعمار في الابقاء على الازواضع التبعية التي تقتضيه الحفاظ على
التفككات القومية والمزيد من تفككت الكيانات الوطنية ، واليافع منها بصورة
خاصة . وان الامثلة اماننا لكثيرة ، سواء في افريقيا او آسيا ، والان في
الوطن العربي ، حيث الردة الرجعية في لبنان تمتد حثيثا نحو سوريا والعراق ،
بل وربما مصر نفسها ذات الماضي الوطني السحيق في القدم .

ليست لدي أية رغبة ذاتية في أن أوجي لأي كان بصورة مطلقة وبإثباتية
عن حاضرنا الوطني ، وأجرى عن المستقبل ، انني على عكس ذلك أضع الي
غيره تماما ، ولكن بدون سداحة في التناول ، إذ أن الخطار المستقبل ، انطلاقا
من وقائع الحاضر ، كثيرة ، وإن ما أنجز من تقييم على صعيد تمثين للوحدة
الوطنية ما زال ممكنا ضياعه .

وإن الفرصة أمامنا ما تزال لمواجهة الوحدة ، خصوصا وأن لنا في تاريخنا
الحديث والقديم ما يدعم فضالنا من أجل التأكيد على مقولتنا وحدتنا للوطنية
المنجزة خلال مسيرة من التاريخ طويلة ومليئة بالأمسي والدماء .

أما عن اخواتنا أولئك فإن أحسن كلمة تصدق فيهم قولة الامام علي
عن الخوارج : (كلمة حق أريد بها باطل) ، وذلك بالضبط هو ما يعطي
لكلامهم بعض مصداقته ويسمح لهم بالناتير . تغررات من يواجهونهم
بحديثهم ويواجهون لهم سهام نقدهم ... كثيرة ، والوقائع التي يمكنهم
الاستناد اليها في دعواهم متصدعة . والاكثر من ذلك أننا لا نجاور كلبان دولة
مثل اسرائيل يكشف تحالفهم معها حقيقة أهدافهم للناس ، بل وحتى
لأنفسهم ، غير أن هذه الظروف المناسبة ليست سوى حالة وقتية ، ولذا سلطنا
بـ « حسن نية » القاعدة المتبنية عفويا لتلك الاطروحات ، فاضنا نستطيع ان
ننهبهم الى شينين :

1 - ان الفرصة المواتية اليوم لتيازهم ، والتي يستثمرون فيها لنموهم
ظروفاً طارئة تتمثل ، من جهة ، في الجزر المؤقت لحركة الوطنيين الديمقراطيين ،
ومن جهة أخرى في كون الجميع اليوم يستقبلون ، من مختلف مواقعهم ، قنلة
الصحراء ، هي فرصة لها وقت تنتهي عنده . بالاضافة الى أن الطابع الانتهازي
لمواقفهم ذلك يعري وحده حقيقة ممارساتهم وأهدافهم المسكوت عنها حتى
الآن .

2 - أنه للمساهمة في صنع تاريخ غير هزيف ولا مؤقت لا يكفي أن
يتوفروا على الكثير من النوايا الطيبة والارادلت الجسنة فقط ، بل أساسا ،
علي وعي تاريخي للأهداف وللوسائل يكون مطابقا لحركة الزمن وللارادة
العصيقة للشعب في الانعتاق والتقدم . ان الوعي المغلوط والخطي يمكنه أن
يصنع حركة جماهيرية وحتى نجاحات سياسية ... ولكنه لا يمنع من السقوط
في النهاية وبلا شرف ولا بطولة . وأمثلة التاريخ عديدة في هذا الصدد ، حيث
نجد أن كل حركة ، تمارس فعلا دوعي مفارق للواقع ، لا تؤدي في
النهاية سوى الي نقيض نوايا وأهداف اصحابها .. والمثال النازي قديما
والصهيووني حاليا أحسن حجة ، ولا يمكن انكار جماهيريتهما وقوتهما .

وأما بالنسبة للبورجوازية فإن أفضل خدمة يمكن أن تقدمها لهذه القضية

هو الاستمرار على مستوى التماهي ، بالصحة النهائية ، إذ أن نطقها بحسب عقليتها لن يكون سوى كفر يرجع بنا القهقري أكثر ويديم مستندات الخصوم وحججهم ، رخصوا في المسألة الإقليمية .

وعلى السيد « أبو انس » في جريدة « المحرر » ، أن يخفف من « وعظه الديني » وأن يتكفي أكثر على المنطق العلمي وقيم العقل متعاملا مع الدين بأسلوب غير تكتيكي ولا انتهازى ، وإنما بالتركيز على أحد أهم وظائفه باعتباره تعبيرا عن تطلعات المسحوقين وطموحهم في اعتناق لا يمكنهم اليوم تحقيقه بغير الخط الاشتراكي العلمي .

وإن أفضل ختام لهذا الحديث الذي أرجو ألا يعتبر طويلا بغير ضرورة هو تذكّر حكمة الشاعر العربي القديم ، بروايته الموضوعية والتأفة ، لحالة من الطبيعة تشبه حالتنا :

كناطح صخرة يوجا ليوهنتها . فما وهنت وأعيا قرنه الوعل

فمن الأكيد ، وعلى المستوى التاريخي ، أن مصير ناطحي الصخرة من مواطنينا لن يكون أفضل من مصير تلك الوعل أملك الصخرة الصماء لوحدة الوطن المصنوعة من عرق ودماء أجيال تلو أجيال في التاريخ المجيد لهذه الأمة .

هوامش :

- 1 - لم يكن عني من هذه اللورقت أن اتوم أو اجاسيب احدا ، غابتي كانت ان اصنفه وانبه ، فاذا انزلت العلم احيايا الى تعليمه فان ذلك جاء بغير ارادة ، ويدافع - ربما - من طبيعة الموضوع التي لا يسمح ، لمطانيته ، بتجرده مطلق .
- 2 - ان النقاش التفصيلي لتلك الدعوات ، وتقدير ما يتضمنه حديثها من حق وما يخفيه من باطل ، مع تحويل لايجليياتها وسلبياتها ... الخ فسكنون له نوص اخرى قادمة ، بعد ما يكون الاعتناء قد استقر بين المهتمين على الضرورة الموضوعية والآنية لمواجهة في الميدان لتلك التيارات وغيرها من امثالها .
- 3 - ان اهمية هذا الحديث هي في كونه يفتح الباب للنقاش المطلوب من الجميع المساهمة فيه ، فاذا هو لم ينجح في ذلك فسكنون بذلك حديثا باطلا .
- 4 - لا يجوز مطلقا ان يربط ايا كان بين بعض اشاراتنا الى المسألة الدينية وبين ما حدث في ايران ، إذ أنه الى جانب سابق اقتناعنا بما يتضمنه الموضوع الحالي عن أحداث ايران من الناحية الزمنية الصرف ، فإن الفروق تعتبر شلسة جدا بين ظروف البلدين : ايران والمغرب . واختلاف وضع المسألة الدينية فيها ، مما لا يسمح مطلقا باعتبار أحد البلدين نموذجا للأخر .
- 5 - طرحت ، بصفة عارضة وسريعة ، بعض القضايا الدقيقة والشائكة احيايا . وما كان من الممكن الوقوف عندها نظرا لطبيعة السياق الذي لا يسمح بذلك ، ونحن نعد بإمكان الرجوع اليها عند ما تسمح الظروف ، ومن تلك الموضوعات :
 - أ - الطبيعة اللاهوتية في العمق لفرض مادة التربية الإسلامية في مناهج التعليم .
 - ب - المسألة اللغوية في المغرب ، وبالأخص مسألة الشلخة .
 - ج - الوضع غير العلمي والدور الايديولوجي للكثير من مدارس اللسنيات الحديثة وتأثيرها السلبي والمتنامي على متلقيها .